(٥٠٧)

(مُحمَّدُ بن مُحمَّد بن أبي القَاسِم بن مُحمَّد بن عبد الصَّمد بن حَسَن بن عبد المُحسن أبو الفَضْل المَشدالي)[١]

بفتح الميم والمعجمة وتشديد اللام نسبة إلى قبيلة من زواوة، البجالي، المغربي المالكي، ويعرف في المشرق بأبي الفَضْل، وفي المغرب بابن أبي القاسم. ولد في ليلة النصف من رجب سنة ٨٢١ إحدى وعشرين وثمانمائة أو في التي بعدها أو في التي قبلها ببجالة، وحفظ بها القرآن، وتلا بالسبع على أبيه، وحفظ شيئاً كثيراً من المختصرات، بل والمطولات، وأخذ عن أبي يَعْقُوب يُوسُف الربعي الصرف والعروض، وعلى أبي بَكْر التِّلمساني العربية والمنطق والأصول والميقات، وعلى البيروي في النحو، وعلى إبراهيم بن أحمد بن أبي بكر فيه وفي المنطق، وعلى الحسناوي في الحساب، وعلى أبيه فيما تقدم، وفي الأصول والمعاني والبيان والتفسير والحديث والفقه. ثم رحل إلى تِلمسان فبحث على ابن مَرْزُوق، وعلى سائر علمائها في عدة علوم منها: ما تقدم، ومنها الجبر والمقابلة والهيئة والمرايا والمناظر والأوفاق والطبّ، والأسطرلاب والصفائح والجيوب والأرتماطيقي والموسيقا والطلسمات، ثم عاد إلى بجالة في سنة (٨٤٤) وقد برع في العلوم واتسعت دائرته وكثرت معارفه وبرز على أقرانه بل على مشايخه، وتصدّر للإقراء ببجالة إلى أن رحل منها، فدخل بلد عيناب وقسطينة، وحضر عند علمائها ساكتاً، ثم دخل تونس في سنة (٨٥٠)، وحضر عند جميع علمائها ساكتاً أيضاً، ثم رحل نحو المملكة المصرية فركب البحر فساقته الريح إلى جزيرة قُبرص. ثم دخل بيروت ورحل إلى دمشق، ثم طوّف بلاد الشام، وقطن القدس مدة، وشاع ذكره إلى أن ملأ الأسماع والبقاع، ثم حجَّ، ورجع إلى القاهرة مع الكمال بن البارزي، فزادت حظوته عند السلطان وأركان الدولة، ودرّس الناس في عدة فنون، فبهر العقول وأدهش الألباب على أسلوب غريب بعبارة جزلة وطلاقة كأنها السيل، بحيث يكون جهد الفاضل البحَّاث أن يفهم ما يلقيه حتى قال له الطلبة: تنزل لنا في العبارة فإنَّا لا نفهم جميع ما تقول، فقال: لا تنزلوني إليكم ودعوني أرقيكم إليّ، فبعد كذا وكذا مدة حدَّها تصيرون إلى فهم كلامي، فكان الأمر كما قال. وكان جماعة من أعيان تلامذته يطالعون الدرس ويجتهدون في ذلك غاية الاجتهاد حتى يظنّ بعضهم أنه يفوق عليه فإذا وقع الدرس أظهر لهم من المباحث

(١) ترجمته في: معجم المؤلفين: ١١/ ٢٥٩؛ هدية العارفين: ٢/ ٢٠٢.

ما لم يخطر لهم ببال مع امتحانهم له مراراً فيجدونه في خلوته نائماً غير مكترث بمطالعة ولا غيرها. قال البقاعي: حضرت درسه بالجامع الأزهر في فقه المالكية فظهر لي أنني ما رأيت مثله ولا رأى هو مثل نفسه، وإن من لم يحضر درسه لم يحضر العلم ولا سمع كلام العرب ولا رأى الناس بل ولا خرج إلى الوجود. وقال ابن الهمام: هذا الرجل لا ينتفع بكلامه ولا ينبغي أن يحضر درسه إلَّا حذَّاق العلماء. وذكر البقاعي أن صاحب الترجمة هو الذي أرشده إلى ما وضعه في التفسير من المناسبات بين الآيات والسور، وأنه قال له الأمر الكلي المفيد بعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنك تنظر الغرض الذي سيقت إليه السورة وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات، وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما سيتبعه من إشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة شفاء العليل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها، فهذا هو الأمر الكلي على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن، فإذا فعلت ذلك تبين لك إن شاء اللَّه وجه النظم مفصلاً بين كل آية آية، وفي كل سورة سورة، واللَّه الهادي. انتهى. ومن مؤلفاته شرح جمل الخونجي، وله نظم فمنه: [من الكامل]

بَـرقُ الـفُـؤادِ بَـدا بـأفـقِ بِـعَـادنـا ... فَـتـضَـعْـضَـعَـتْ أَركـانُـنـا لِـرُعـودِهِ
كـيـفَ الـفـراقُ وقَـدْ تَـبَـدَدَ شَـمْـلُـنـا ... والـبـيـنُ شـقَّ قُـلـوبَـنـا بِـعَـمُـودِهِ
لـلَّـه أيـام مَـضَـتْ بِـسَـبـيـلـهـا ... والـدّهْـرُ يَـنـظـمُ شَـمْـلَـنَـا بِـعُـقـودِهِ

ثم لم يلبث أن رغب في السفر عن مصر، وتطوَّف البلاد وركب البحر، وتطوّر على أنحاء مختلفة، وهيآتٍ متنوعة إلى أن (مات) غريباً فريداً في عيناب سنة ٨٦٤ أربع وستين وثمانمائة في شوَّالها أو الذي بعده. وقد رام السخاوي رحمه اللَّه مناقضة البقَاعي فيما وصف به صاحب الترجمة؛ ولعلّ الحامل له على ذلك ما بينه وبين البقاعي من العداوة كما تقدم.

(٥٠٨)

(مُحمَّدُ بن مُحمَّد بن مُحمَّد ابن أحمد بن عَبْداللَّه بن مُحمَّد بن يَحْيَى)[1]

ابن مُحمَّد بن مُحمَّد بن أبي القَاسِم بن عبد اللَّه بن عبد العزيز بن سيّد الناس بن

(١) ترجمته في: الدرر الكامنة: ٤/ ٢٠٨؛ فوات الوفيات: ٢/ ١٦٩؛ شذرات الذهب: ٦/ ١٠٨؛ =